الفصل الثانى

مؤلفات كوندرسيه

كتب كوندرسيه الكثير من الأبحاث والمذكرات والكتب ، وتجمع كل مؤلفاته روح البساطة والسهولة وبلاغة الأسلوب وذلك رغم اختلاف موضوعاتها ، ولكنها كانت تحوى أفكاراً عميقة فى نفس الوقت .

بدأ كوندرسيه بالكتابة فى الرياضة ، وفيما يلى مؤلفاته الرياضية[1] :

(١) « مقالة فى الحساب التكاملى » باريس سنة ١٧٦٧ .

"Essai sur le Calcul Intégral", Paris 1767.

(٢) « مذكرة عن مسألة الأجسام الثلاثة » باريس سنة ١٧٦٧ .

"Mémoire sur la Problème des Trois Corps," Paris 1767.

(٣) « مقالات فى التحليل » باريس سنة ١٧٦٨ .

"Essais d'Analyse", Paris 1768.

وبعد فترة قصيرة تحول كوندرسيه عن الكتابة فى الرياضة واتجه إلى العلوم الإنسانية وكان إنتاجه فى العلوم الإنسانية ، غزيراً بالنسبة لكتاباته فى الرياضة .

ومن الممكن تقسيم مؤلفات كوندرسيه غير الرياضية إلى المجموعات الآتية[2] :

المجموعة الأولى : مؤلفات كوندرسيه فى التاريخ وتراجم السير وتحتوى على :

١ – التقريظات : وهى تشمل تسجيل آثار كبار المفكرين والأكاديميين ومدح أعمالهم ولقد اتبع كوندرسيه فى تلك التقريظات نظام التحليل والتعليق ، فمثلا عند كلامه عن « بسكال » بدأ بعرض تاريخ حياته ثم بحث فى أفكاره ونظرياته وفحصها وحللها ونقدها . ومن الأخطاء الشائعة عند واضعى التقريظات المبالغة فى المدح ، ولكن عبقرية كوندرسيه أتاحت له تجنب الوقوع فى ذلك الخطأ فلم يتردد مطلقاً فى توجيه النقد لتحديد الخطأ والنقص إذا وجد نفسه أمام أراء تستحق ذلك .

---

(١) Severac, J.B. : Condorcet, Paris 1912, P.23

(٢) المرجع السابق ص ٢٠ .

فى عام ١٧٧٢ كتب كوندرسيه تقريظات عن « روبرڤال » Roberval و « فرينكل » Frenicle و « ماريوت » Mariotte والأسقف « پيكار » Picard و « دوجلاس » Duglas و « بلوندل » Blondel و « پراويت » Perrauet و « هاجهينس » Hugghens و « كراس » Charas و « روم » Roemer .

فى عام ١٧٧٣ ظهر تقريظ عن « فونتان » Fontaine

فى عام ١٧٧٤ ظهر تقريظ عن « كوندامين » Condamine

فى عام ١٧٧٦ ظهر تقريظ عن « باسكال » Pascal

فى عام ١٧٧٧ ظهرت عدة تقريظات عن : ميشيل دى اوبتال Michel de l'hopital و « تريدان » Trudaine و « بوردىلين » Bourdelin و « برنارد دى چيسيان » Bernard de Jussien و « هلر » Haller و « روهو » Rohaut و « بارتولين » Bartholin و « بويل » Boyle و « بلينى » Bellini و « كوپر » Cowper و « شيسلدن » Cheselden و « بيسونل » Peysonnel و « بيتكارن » Pitcarne و « فلامستيد » Flamsteed و « بيانكى » Bianchi و « ميرشنبورك » Murchenbrock و « لوينهوك » Leuwenhoeck و « كلنجسترن » Klingenstierns و « ليكات » Lecat و « بيرلاسير » Pérelasur و « بيڤيز » Bevis و « لين » Linné .

فى عام ١٧٧٨ ظهر لكوندرسيه تقريظ عن « مالون » Malouin .

وفى عام ١٧٧٩ ظهر تقريظان أحداهما عن « الكونت أركى Arci والثانى عن « جوزيف دى چيسيان » Josephe de Jussien .

وفى عام ١٧٨٠ وضع كوندرسيه ثلاثة تقريظات عن « بيكيه » Buquet و « ليتواد » Lieutand و « برتان » Bertin .

وفى عام ١٧٨١ ظهر لكوندرسيه خمسة تقريظات عن :

كورتانڤو Courtanvaux و « موريبا » Murepas و « ترونشين » Tronchin و « پرنجل » Pringle و « أنڤل » Anville .

وفى عام ١٧٨٢ ظهر ستة تقريظات أخرى عن : « بوردیناف » Bordenavc و « بيرنويل » Bernouillé و « مونتيجبى » Montigpy و « دوهامل » Duhamel و « مارجراف » Margraf و « ڤوكانسون » Vaucanson .

فى عام ١٧٨٣ كتب كوندرسيه تقريظات عن كل من :

« هانتر » Hunter و « إيلر » Euler و « دالمبيرت » D'Alembert و « بيزو » Bezout و « تريسان » Treisan و « وارجنت » Wargent .

وفى عام ١٧٨٤ نشرت التقريظات الآتية :

« ماكير » Macquer و « موراند » Morand و « بيجمان » Begman و « كاسينى » Cassini و « ميللى » Milly و « دوق پراسلين » Praslin .

وفى عام ١٧٨٥ ظهر تقريظ واحد عن « مركيز كورتڤرون » Courtivron .

وفى عام ١٧٨٦ ظهرت ثلاثة تقريظات جديدة لكوندرسيه عن :

« جيتارد » Guettard و « الأسقف جوا » Gua و « المركيز پولى » Poulmy

وفى عام ١٧٨٧ كتب كوندرسيه تقريظاً واحداً عن « بوڤارد » Bouvard

وفى عام ١٧٨٨ ظهرت أربعة تقريظات عن :

الكاردينال « لينى » Luynes و « فوشى » Fouchy و « بيفون » Buffon و « لاسون » Lassone .

وفى عام ١٧٨٩ ظهرت ثلاثة تقريظات عن :

« ترجو » Turgot و « فوجيرو » Fougeroux و « كامپر » Camper

وفى عام ١٧٩٠ ظهر تقريظ عن « فرانكلين » Franklin

وفى عام ١٧٩١ ظهر تقريظ عن « فوركروى » Froucroy

ويدخل فى هذه المجموعة مؤلفان لكوندرسيه يغلب عليهما طابع سير التراجم وهما :

(١) « حياة ترجو » عام ١٧٨٦ "Vie de Turgot", Paris 1786

(٢) « حياة ڤولتير » عام ١٧٨٧ "Vie de Voltaire", Paris 1787

ويرى « سيفيراك »[١] أن كتاب « حياة ترجو » أقيم من كتاب « حياة ڤولتير » نظراً لغزارة المشكلات التى عالجها كوندرسيه بعمق فى كتابه عن حياة صديقه « ترجو » .

ومن الممكن أن ندخل فى المجموعة الأولى الكتابين الآتيين :

(١) « مجموعة من المذكرات عن حالة البروتستانت فى فرنسا » باريس ١٧٨١
Recueil des Pièces sur l'Etat des Protestants en France, Paris 1781

(٢) « تبرير » باريس عام ١٧٩٣ . Justification, Paris 1793.

والكتاب الثانى ناقص ، أى لم يكمله كوندرسيه إذ كتب العبارة الآتية فى آخر صفحاته :

« متروك لتأليف كتاب (الملخص عن تقدم العقل البشرى) » .

المجموعة الثانية : وهى التى تجمع مؤلفات كوندرسيه عن النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ومعظمها مقالات وهى :

فى عام ١٧٧٥ ظهرت مؤلفات كوندرسيه : « أفكار عن السخرة » Réflexions sur les Corvées و « الاحتكار والمحتكر » Monopole et Monopolur و « رسالة من عامل فى بيكاردى » Lettre d'un Laboureur de Picardie و « أفكار عن الفقه الإجرامى » Réflexions sur la Jurisprudence Criminelle

وفى عام ١٧٧٦ ظهرت لكوندرسيه هذه المقالات :

« حرية الصحافة » Sur la Liberté de la Presse

« أفكار عن تجارة القمح » Réflexions sur la Commerce des Blés

« آراء فى القضاء على السخرة » Réflexions sur l'abolition des corvées

وفى عام ١٧٨١ ظهر له مؤلف بعنوان « أفكار عن رق الزنوج » .

---

(١) Severac : Condorcet, Paris 1912, P. 23.

ومن نهاية عام ١٧٨٦ إلى عام ١٧٩٤ ظهر لكوندرسيه عدد كبير من المقالات والتقريرات والمشروعات والمذكرات والبيانات والأبحاث ذات موضوعات متنوعة وهى تدل على نشاط غير عادى للمؤلف وتلك المؤلفات هى :

عام ١٧٨٨ « مقالة عن دستور مجالس المقاطعات »

Essai sur la Constitution des Assemblées Provinciales, Paris 1788.

عام ١٧٨٩ « رسائل رجل مهذب » Lettres d'un Gentilhomme.

و « أفكار عن السلطات والتعليمات التى تصدرها المقاطعات لنوابها فى الحالات العامة»

Réflexions sur les Pouvoirs et Instructions à donner par les Provinces à Leurs Députés aux Etats Généraux.

وفى عام ١٧٩٠ صدرت له مذكرات كثيرة عن تحديد الضرائب والنقود .

وفى عام ١٧٩١ ظهر له «إعلان مجلس الأمة »

Déclaration de l'Assemblée Nationale

وخمس «مذكرات عن التعليم العام» Mémoires surl' Instruction Publique

وفى عام ١٧٩٢ صدر له « تقرير ومشروع لفتوى خاصة بالتنظيم الأساسى للتعليم العام »

Rapport et Projet de Décret sur l'Organisation Générale de l'Instruction Publique.

وأيضًا « أفكار عن الثورة عام ١٦٨٨ وثورة أغسطس عام ١٧٩٢ ».

Réflexions sur la Révolution de 1688 et sur Celle du 10 Août 1792.

وأيضًا « تعليمات عن ممارسة حق السيادة »

Instruction sur l'Exercise du Droit Souverainèté.

و « رأى فى حكم لويس السادس عشر »

Opinion sur la Jugement de Louis XVI.

وفى عام ١٧٩٣ صدر له « مشروع لدستور مقدم للمؤتمر الوطنى »

Plan de Constitution Présenté à La Convention Nationale.

« رسائل عن الضرائب » Dissertations sur les Impôts

ومقال عن « معنى كلمة ثورى » Sur le Sens du Mot Révolutionnaire

وفى عام ١٧٩١ – ١٧٩٢ كتب « الصديق الحقيقى والصديق المزيف للشعب»
Le Véritable et le Faux ami du Peuple.

المجموعة الثالثة : وتشمل المؤلفات الفلسفية وتختلف عن المجموعتين السابقتين فى قلة عدد المؤلفات الداخلة فيها ، ونقصد بمصطلح « فلسفة » ذلك المعنى الواسع المستخدم فى القرن الثامن عشر الميلادى والذى كان يحتوى على الدراسات العميقة فى أى فرع من فروع المعرفة . وهذه المؤلفات هى :

(١) « ملاحظات عن أفكار باسكال » باريس سنة ١٧٧٦ .
Remarques sur les Pensées de Pascal.

(٢) « أحاديث عن القبول فى الأكاديمية الفرنسية» باريس سنة ١٧٨٢.
Discours de Réception à l'Academie Française

(٣) « أحاديث عن الرياضيات» باريس سنة ١٧٨٦ .
Discours sur les Mathématiques.

(٤) « الفلك وحساب الاحتمالات » باريس سنة ١٧٨٧ .
Astronomie et le Calcul des Probabilités.

(٥) « رسالة فلسفية وسياسية ، أو أفكار عن هذا السؤال : هل من المفيد للناس أن يخدعوا » باريس ١٧٩٠.
Dissertation Philosophique et Politique ou Réflexions sur cette Question : S' il est utile aux Hommes d'être trompés.

(٦) « صورةعامة عن العلم الذى طبق الحساب فى ميدان العلوم الأخلاقية والسياسية » باريس عام ١٧٩٣.
Tableau Général de la Science Qui a Pour Objet l'application du calcul aux Sciences Morales et Politiques.

(٧) « ملخص للصورة التاريخية لتقدم العقل الإنسانى» باريس من عام ١٧٩٣ إلى عام ١٧٩٤ .
Esquisse d'Un Tableau Historique des Progrés de l'Esprit Humain.

هذه هى أهم المؤلفات الفلسفية لكوندرسيه ويرى « سيفراك » الذى تخصص فى دراسة كوندرسيه أنه لإكمال العرض السريع لمؤلفات كوندرسيه ، يجب أن نشير إلى تلك المؤلفات :

(١) رسالة عن سويدنبرج إلى ؟
lettre sur Svédenborg à M.....

(٢) رسائل كوندرسيه إلى « ترجو » و « ڤولتير » وغيرهما .
Sa Correspondence

(٣) « رسائل من رجل متدين إلى مؤلف قاموس » .
Lettres d'un Théologien à l'auteur d'un Dictionnaire.

(٤) « نصائحه إلى ابنته » Ses Conseils

(٥) قصيدة عنوانها : « رسالة لبولندى » Epitre d'un Polonais.

(٦) وصيتـــه» Son Testament

نشرت مؤلفات كوندرسيه كاملة فى باريس عام ١٨٠٤ وقد قسمت إلى ٢١ جزءاً .

وبعد هذا العرض الموجز لمؤلفات كوندرسيه أنتقل إلى عرض أهم مؤلفاته بشىء من التفصيل ، ويعد كتابه «ملخص لصورة تاريخية لتقدم العقل البشرى» أهم مؤلفاته على الإطلاق وترجع تلك الأهمية لما يأتى :

١ — يعبر هذا الكتاب عن الجانب الأصيل فى أفكار كوندرسيه إذ لاتتعدى مؤلفاته الأخرى عن كونها سيراً للعلماء ومقالات سياسية واقتصادية وبعض التحليلات الرياضية .

٢ — إن الظروف القاسية التى صاحبت هذا الكتاب أضفت عليه أهمية كبرى ، فقد ألفه كوندرسيه وهو مختبئ بين أربعة جدران ، بعيد عن المراجع والمكتبات ومعرض للمقصلة فى أية لحظة .

أما عن العنوان الفرنسى للكتاب فهو :
Esquisse d'un Tableau Historique des Progrés de l'Esprit Humain.

ألف كوندرسيه هذا الكتاب وهو فى مخبئه عند مدام فيرنيه بشارع « فوسيير » بباريس ، وكان عنوان النسخة الأصلية ، المكتوبة بخط يده : بيانات عن صورة تاريخية » Prospectus d'un Tableau Historique ولقد ذيل كوندرسيه تلك النسخة الأصلية بالعبارة الآتية :

« فى يوم الجمعة ٤ أكتوبر عام ١٧٩٣ ، وبالنظام القديم ، ١٣ من الشهر الأول للسنة الثانية للجمهورية الفرنسية » .

ونفهم من هذا أنه انتهى من كتابه قبل هربه من هذا المنزل بحوالى ستة شهور لأنه هرب فى يوم ٢٥ مارس عام ١٧٩٤ ونفهم من ذلك أيضاً أنه كتبه فى مدة أربعة أشهر تقريباً ، لأنه وصل إلى منزل مدام فيرنيه فى ٨ يوليو سنة ١٧٩٣ ، وهى مدة وجيزة تدل على أنه ألف كتابه هذا بسرعة . وتتكون النسخة الأصلية من أوراق لها صفحتان ، كل صفحة مقسمة إلى عمودين أو قسمين ، وكان يكتب على اليمين أما على اليسار فكان يحدد التصحيحات ويضيف الزيادات التى يراها .

ظهرت الطبعة الثالثة والأخيرة لكتاب كوندرسيه فى عام ١٩٣٣ بباريس تبع « مكتبة الفلاسفة الكبار » وقد راجع هذه الطبعة وقدم لها الباحث « پرو ير » O.H. Prior الأستاذ فى جامعة كامبردج .

يرى « پرو ير » فى مقدمته أن كوندرسيه كان يعتبر هذا الكتاب كمقدمة بسيطة لدائرة معارف ضخمة ، ويستدل على هذه الفكرة بأن كوندرسيه عنون كتابه باسم « بيانات لصور تاريخية » أى بيانات تمهيدية لصورة تاريخية .

وقد لاحظت دليلاً آخر يثبت فكرة الأستاذ « پرو ير » وهو أن من يطلع على كتاب كوندرسيه يلاحظ تكرار هذه العبارات :

« إننا سنبين كيف أن » « إننا سنشرح » « إننا سنثبت أن » وينتقل إلى أفكار أخرى دون أن يبين أو يثبت شيئاً وكأنه يقصد من استعماله فعل المستقبل أنه سيعالج هذه الأمور فى كتاب آخر لاحق يعتمد فيه على المراجع والمصادر التاريخية ، وهكذا كان يأمل فى إلغاء أمر القبض عليه ، وهذا أمر غير مستبعد إذا تذكرنا صفة التفاؤل التى تميز شخصيته .

وضع كوندرسيه كتابه هذا وهو فى حالة بائسة ، فبعد أن كافح كفاحاً مريراً لتحقيق إصلاح شامل وثورة قوية ، وجد نفسه من أوائل ضحايا تلك الثورة وهى الثورة ذاتها التى شارك فى خلقها .

ونظراً لعدم وجود الأوراق اللازمة للكتابة كان كوندرسيه يستخدم أى ورقة تقع فى يده ، ولهذا نجده أحياناً يكتب خلف أوراق الإعلانات وأحياناً يستعمل أوراقاً غير مهذبة الأطراف ، وكانت أخطاء الإملاء والقواعد والنحو كثيرة جداً بسبب السرعة ، وكانت التصحيحات الواردة فى العمود اليسارى من كل صفحة كثيرة ومعقدة .

ويرى الاستاذ « كاهن »[١] أنه من المؤكد أن كوندرسيه كانت لديه أسس كتابه هذا قبل هربه واختفائه عند مدام « فيرنيه » ، وهذا لقصر المدة التى ألف فيها كتابه .

وضع كوندرسيه خطة مفصلة جداً قبل البدء فى الكتابة ، هذه الخطة مرفقة مع النسخة الأصلية وكذلك وضع فهرساً لتقسيم الكتاب سار عليه إلى النهاية .

ظهرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب فى العام الثالث من إعلان الجمهورية الفرنسية ولكنها تختلف كثيراً عن النسخة الخطية لكوندرسيه . وكان الاختلاف فى التصحيحات وفى الإضافات التى وضعها كوندرسيه ، ثم ظهرت الطبعة الثانية فى عام ١٨٤٧ وهى طبعة « أراجو » ويرى الأستاذ « پرويير »[٢] أن هذه الطبعة أيضاً تختلف فى كثير من العبارات عن النسخة الخطية ، هذا رغم أن « أراجو » يعلن أنه راجعها على النسخة الأصلية الخطية ويوافق « كاهن » على رأى « پرويير » الخاص بذلك ويؤكد عدم دقة طبعة « أراجو » ، وبسبب الإختلافات والأخطاء الموجودة فى الطبيعتين السابقتين أعاد « پرويير » طبع الكتاب وجعله مطابقاً تماماً للنسخه الخطية ، أما العبارات التى وجدت فى طبعة « أراجو » ولم توجد فى النسخة الخطية الأصلية فقد وضعها « پرويير » بين أقواس . ولذلك فإننى عند تسجيل آراء كوندرسيه لم أهتم بالعبارات التى بين الأقواس إذ يظهر لمن يقرأها أنها شروح كتبها « أراجو » لتوضيح آراء كوندرسيه . ورغم حالة كوندرسيه البائسة ، فقد وضع فى كتابه هذا أفكاره ونظرياته دون أن يسمح لظروفه الشخصية السيطرة على أفكاره وتحليلاته ؛ فقد نظر

---

(١) Cahen : Condorcet et la Révolution Francaise, P. 28

(٢) Prior : l'Introduction Condorcet; Esquisse, Paris 1933.

إلى الأمور نظرة موضوعية، وأكبر دليل على ذلك أنه كان متفائلاً أشد التفاؤل بتقدم العقل الإنسانى وبالدور الذى سيؤديه فى المستقبل لخدمة الإنسانية ولم يشر مرة واحدة إلى ظروفه القاسية وحالته النفسية المضطربة وهكذا اتبع فى ذلك المنهج العلمى الذى يتميز بالموضوعية.

كتب كوندرسيه مؤلفه هذا فى أسلوب بسيط ولم يستعمل الاستعارات والتفخيمات ، وفى كل سطر كتبه تظهر فيه عاطفته المتحمسة للروح العلمية ولنبوغ العقل البشرى .

ويرى الاستاذ « إلوود »[١] أن كوندرسيه فى هذا الكتاب تابع مفكرى الثورة الفرنسية فى تقديسهم للإنسانية نظراً لقدرة العقل على الاختراع والإبداع مما يدفع الإنسان إلى الأمام دائماً وأيضاً يشاركهم فى محاربة رجال الدين.

ويبين هذا الكتاب تقدم العقل الإنسانى كما هو واضح من عنوانه وفيه تحليل دقيق للمراحل التى تبين وتحدد التقدم الذى يحرزه العقل فى جميع الميادين .

يتبين لنا من العرض السابق أن « كوندرسيه» لم يكن بالشخص العادى نظراً لغزارة مؤلفاته مع تعدد موضوعاتها ونظراً لحياته الحافلة ، ولقد وافق الأستاذ « پرويز » على قول الأديبة الفرنسية «ليسبيناس» «بأن الطبيعة لم تنتج رجلا مثل كوندرسيه » ، ويضيف پرويز» أستاذ جامعة كامبردج الذى تخصص فى دراسة كوندرسيه العبارة الآتية :

« إن من يتهم تقريظ الآنسة «ليسبيناس » بالمبالغة عليه أن يطلع على مؤلفات هذا العبقرى (كوندرسيه) وعندئذ سينصف الآنسة«ليسبيناس » ويتفق معها فى الرأى » .[٢] وتتميز مؤلفات كوندرسيه بتنوع الموضوعات، ومن حيث الأسلوب تجمع بين سهولة « ڤولتير» وتعقيد «فونتنيل» وكذلك بين وضوح « بسكال » وعمق «نيوتن »[٣] .

---

(١) Ellwood : A History of Social Philoscphy, New York 1944, P. 219.

(٢) Prior : L'Introduction : Condorcet; Esquisse, Paris 1933.

(٣) المرجع السابق .